المقتطف

# أمادّة النفس أم جوهر مجرّد

وهي محاورة بين الطابع والكابح

حدّث الباحث ابن العصر قال: شُغِفتُ بالمعارف العقليّة وكلِفتُ بالمباحث الفلسفيّة فكنتُ انصبّ اليها مطايا الفِكَر واتسمّ اخبار من اشتغل بها واشتهر واخوض ابحار مسائلها وارتطم باوحال مشاكلها حتى رماني حسن التوفيق الى جماعة من اهل التحقيق قد اسبغوا ذيل الحديث على ما قيل في النفس من القديم والحديث فجلست فيهم قرير العين وقد انفسموا حزبين ودارت سماء حديثهم على قطبين اشتهرا بالعوارف من كنوز المعارف يقال لاحدهما الطابع وللآخر الكابح. فلما اصطلت بينهما نيران الوغى في هل النفس هيوني قال الطابع ان ساجلني بطريق العلم[1] فانا اول المساجلين والاّ فانا وحزبي من الراحلين. قال الكابح انّا على ما تريد فلا ينلُ الحديدَ الاّ الحديد

الطابع. وما تقول في تعريف النفس

الكابح. هي جوهر بسيط مجرّد عن المادّة به نفتكر ونتفعل ونريد واليه يشير كل احدٍ بقوله انا

ط. اني لأعجب كيف تزعم ان النفس جوهر مجرّد عن المادّة وانت الرجل الذي اغذى عقله بزبدة معارف الاوّلين والآخرين فكانك لا تعلم ان افكار البشر بعدما حارت طويلاً في افلاك الحدس والتخمين وانفرجت عن محترق الحقيقة ذات اليسار وذات اليمين وقضت السنين والاجيال تخترق غياهب الجهل وتحاسب الاوهام خرجت منها منضة نحو الحقائق قاضحت علماً خالصاً من شوائب الباطل وقاداً في ذاتو كشّافاً لغشاوة الاوهام عن البصائر. لمّ لا تقلع عن ذلك المذهب وقد قضى العلم انهُ فاسدٌ اذ لا وجود لغير المادّة في عالم الوجود. وهل تنكر ان كل حقيقة تقوّض منه ركناً وكل اكتشاف يزيد

(١) لما كان في هذا الباب مظنة يتعرض هذه المقالة للمذاهب الدينية نبه على دفعها بان البحث لا يكون هنا الاّ بطريق العلم. وذلك لان البحث عن ماهية النفس من حيث كونها جوهرًا مجردًا او مادّة من خصائص علمي الفيسيولوجيا والسيكولوجيا واما البحث عن خلودها وما يترتب على ذلك فمن خصائص علم اللاهوت ولذلك لا يتعرّض له

عمادهُ وهنًا حتى لقد تُعِرَت اسوارهُ ودكت اساساتهُ وتهدَّمت مترسانتهُ وشرع الملجئون اليهِ يولون مدبرين. فكاني بك تكجم مطية عقلك مخافة ان تخترق مفاوز الاوهام والتقليد وترتع في رياض الحقائق

ك. ولمَ يعجبك امري وانت اذا تصفحت كتابات الاولين رأيت ان نيران حربهم لم تنقص سعيرًا عن نيران المتأخرين فهذا تاريخ الفلاسفة يشهد انهُ منذ تجرَّدت افكار البشر عن الاهتمام بالسلع والحطام واطلقت لنفسها اعنة البحث في القضايا الكلية والمسائل العظام انقسمت اقسامًا على اقسام. وانت خبير والحال شاهدة ان هذه الحرب لم تزل جارية على قدم وساق وكلٌ حزبٍ بدعيهِ لنفسهِ النصر والظفر. ولامرٌ بيّنٌ انك في ما قدَّمت تجاوزت حدَّ علوم المتقدمين والمتأخرين وطمحت ابصارك الى ابعد مما يجيزهُ لك علم اليقين فانا بعد ان استقريت شرائع العلوم وميَّزت بين غثّ الاحكام وسمينها ووزنت الحقائق بميزان العقل ترجَّح لي مذهبي الثابت الذي تتوهم انت قرب انتقاضهِ. ولذلك لست اكجم مطيَّة عقلي عن اختراق مفاوز التقليد وانما اكجمها عن الطموح من الحقائق الى الاوهام فخيرٌ لي ان اكون بهذا المعنى كابحًا من ان اكون طامحًا

ط. تقول انك استقريت شرائع العلوم وميَّزت بين غثّ الاحكام وسمينها ووزنت الحقائق فترجح مذهبك فما جوابك على ادلَّة علماء هذا الزمان

ك. هات ان كان عندك شيءٌ منها فنكون من الشاكرين

ط. كنت اودُّ لو تيسَّر لي ان استوفي لك ادلتهم ولكن ما هذه بفرصة تترك فخذ مني اشهرها. اولًا ان هذه النفس التي تزعم انها جوهر مجرَّد عن المادة هي مقارنة للجسد المادي فلا نعلم بوجود نفس غير مقرونة بجسم مادي ولا نستدلُّ على افعالها وظواهرها الاَّ بواسطة الجسد. وليس في العلم ادنى دليل على ان نفسًا من النفوس فعلت فعلًا او اظهرت شيئًا من ظواهرها مجرَّدة عن الجسد. وكلُّ نفسٍ تتصل الى معرفة قواها وكشف شرائعها مودوعة في جسم مادي. فهل يسعك انكار شيءٍ من ذلك

ك. ما لك ولانكاري فاتِ على ادلتك كلِّها وخذ رأيي بعد ذلك

ط. لقد أصبت فاعلم ثانيًا ان هذه النفس المقترنة بالجسد تنمو بنموهِ وتتكامل قواها بتكامل قواهُ فاعضاء الجسد تتكامل الدنيئة منها اولًا فتفعل افعالها ثم التي فوقها كذلك ولا تزال تتكامل حتى تصير كفًّا لقضاء كل افعالها وينشأ الجسد ثم ينمو حجمًا وقوة حتى يأتي طور الانحطاط فيحط. وفي غضون ذلك تشرع قوى النفس في النمو فتخرج قواها كما تخرج الجرثومة اوراقها ولا تزال تتقوى وتنمو حتى تصير كفًّا لقضاء جميع افعالها. فاذا كانت النفس تخرج قواها الى الوجود كما يُخرج الجسد اعضاءهُ وتتكوَّن وتنمو كما يتكوَّن الجسد وينمو حتى انك لا تجد بين جسد الطفل والبالغ فرقًا اعظم مما بين عقليهما فالاَّ نسب للقياس والاقرب للعقل ان تكون النفس — اي الفكر والانفعال والارادة — افعال عضو من الجسد

ادق مما سواهُ بنية واتقن منهُ تركيباً كما ان احداث الحرارة في الجسد من الافعال المتعلقة بالرئتين واحداث الكهربائية في البطارية فعل الحوامض والمعادن التي فيها . وبذلك تكون كل قوى الانسان وافعاله الارادية وغير الارادية صادرة عن مصادر منظومة في سلسلة متصلة الحلق — شأن العلم في سرد الموجودات في سلسلة تامة الاتصال — بخلاف ما اذا فرضنا النفس ذاتاً مستقلة عن الجسد فانها تقضي بالانفصال

ثالثاً لان هذه النفس لا تكتفي بمقارنة الجسد والتمو بهمو بل تعتمد عليهِ ايضاً لاجل الحصول على المعرفة وما يتلو تلك المعرفة من الانفعال اللذيذ او المؤلم كالانبساط والانقباض . فانها بلا العين لا تدرك المرئيات ولا تنبسط منها ولا تنقبض ولولا الاذن لا تسمع الاصوات ولا تنفعل بها . فكلُّ ما تعرفهُ وتنفعل بهِ من هذا الكون المادي انما تصل الى معرفتهِ بواسطة الحواس الخمس المادية ولا تحصل على معرفةٍ جديدة ما لم يؤثر اولاً جسمٌ مادي بهذه الحواس المادية . وما عندها من المعارف العليا والانفعالات السامية حاصل بالتجريد والتعميم ونحوهما من المدركات الجزئية التي تدركها بواسطة الحواس الخمس . ولذلك تعتمد في ادراكاتها الكلية على الادراكات الجزئية اعتماداً عظيماً او قليلاً حسب الحاجة . فلو تعطلت الحواس لأغلقت ابواب المعرفة عنها ولو لم توجد الحواس لكانت لا تستطيع ان تبدي عملاً لانها لا تبدأ بفعل افعالها ما لم تؤثر الاجسام المادية في الحواس وتؤدي الحواس ذاك التاثير اليها . فمعنى قولك ان النفس جوهر بسيط مجرَّد عن المادة وهي بلا المادة لا تحصل على معرفة ولا يعتريها انفعال ولا تبدي فعلاً من الافعال ولا يُدرى بوجودها ولا يُعرف شيء عن احوالها

رابعاً . قد قلتُ لك ان النفس لا نعلم بوجودها الاَّ مقرونة بالجسد وانها تتمو بتمو وتتكامل قواها بتكامل قواهُ وانها تعتمد عليهِ في ادراك الاشياء والانفعال بادراكها والآن خطر لي دليل اقوى مما تقدَّم على انها هي والدماغ سيَّان . فهل يغرب عنك انها تتأثر من كل عارض يعرض للجسد أولا تعلم انهُ اذا اربكت المعدة في هضم الطعام ضعفت قوة النفس فلم تقدر على توجيه انتباهها الى ادراك الامور وتذكُّر ما عندها من المدركات كتوجيهها ايلهُ الى ذلك في حال الصحة . وانهُ اذا اعترى آلة القلب خللٌ اخلَّ الخلل ايضاً بالنفس فتعيي عن إعمال النظر . وانهُ اذا اشتدَّت بعض الامراض على الجسد اطلقت العنان للخيال فيصوِّر للنفس اقبح الصور ويلونها بتهاويل المكراهة والنفور ويزوِّقها بما تنقبض منهُ وتأبى النظر اليهِ . وهي بنتزع سلطانها عنهُ فلا تستطيع ان تحجزهُ عن تصويرهِ ولا مناص لها فتخلص من خيالاتهِ . وانهُ اذا انسكب دمٌ او زلالٌ الى الدماغ تعطلت النفس فلا تنفعل فعلاً او فقدت قوة الادراك بتمامها . وانهُ اذا اصاب الدماغ ما يغيِّر تركيبهُ او يحيط اعمالهُ او اذا قُطِّعت اعصاب من اعصابهِ فربما جنَّ الانسان وذهب عقلهُ فيقلب ما تسمِّيهِ انت نفساً فيصير ذاتاً اخرى تعاكس تلك في طبعها كما يستدلُّ

من انعكاس افعالها. ولا يزال ذلك كذلك حتى يرتفع السبب ويبرأ الدماغ فيرتفع المسبَّب وتعود النفس كما كانت . فليت شعري كيف يجوز عليك ان النفس جوهرٌ مستقلٌ عن المادَّة وعلى صحة الجسد صحتها وعلى اعتلالهِ اعتلالها وعلى تعطُّل الدماغ تعطُّلها وعلى انحلالهِ زوالها واضمحلالها. فان كنت بعد هذا لا تسلِّم بانها افعال الدماغ فالأولى ان لا تسلِّم بكون الصوت تموجًا في الهواء والنور والحرارة تموجًا في الاثير. لان اعتماد الصوت والنور والحرارة على تلك الاركان ليس باعظم من اعتماد النفس على الدماغ. ولا سيما انهُ متى انحلَّ الجسد تفرَّقت عناصرهُ تختفي النفس عن علمنا فلا يبقى لنا دليلٌ من البحث والمشاهدة على وجودها

خامسًا. اذا امعنتَ النظر في مراتب الكائنات واخلصتَ لنفسك الحكم وحللتَ عن عقلك ربقة التقليد تيقَّنتَ ان جوهر النفس كائنٌ ماديٌّ لا غير ولكنهُ خاتمة الماديَّات واسماها رتبةً. فلا خفاء ان الجمادات ادنى المخلوقات مربوطة بشرائع لا تتغير اعمُّها الجاذبيَّة. فانها مسنونة على كل جسمٍ ماديٍّ وبها تتوازن الكواكب في السماء وتثبت الاجسام على الارض. وفوق هذه واخصُّ منها الالفة الكيماوية بها تتحد الاجسام المختلفة الطبائع فيتكون منها اجسام اخرى مختلفة عنها ايضًا في طبائعها. وفوق هذه واخصُّ منها التبلور به تترتب جواهر الاجسام في محيِّزات قياسيَّة بحيث يتشكل الجسم باشكال هندسيَّة على غاية الاحكام والاتقان كما ترى في بلورات الماس والياقوت وغيرها من الاحجار الكريمة . فاذا اعتبرت الجمادات هذا الاعتبار رأيتها تسمو مرتبةً بحسب ارتباطها بشرائع بعضها اخصُّ من بعض فالمرتبط بشرائع الجاذبيَّة والالفة الكيماوية اسمى مرتبةً من المرتبط بشرائع الجاذبية فقط والمرتبط بشرائع الجاذبية والالفة الكيماوية والتبلور اعلى مرتبة من المرتبط بالجاذبية والالفة الكيماوية فقط حتى انك لترى في حسن شكل البلورة واتقان هندستها واحكام زواياها رمزًا الى الاجسام الحيَّة . وفوق تلك الشرائع واخصُّ منها الشرائع الحيوية بها تكون الاجسام مؤلفة من اجزاء شتَّى كلٌّ يقضي حاجاتهِ خصوصًا وحاجات الكل عمومًا فكلها تسعى معًا لصالح الكل. فالنبت مثلاً يخرج اوراقهُ اذا وافقتهُ الاحوال وينفح ازهارهُ ويعقد اثمارهُ ويُلقي بعدهُ جسمًا حيًّا خلفًا له . والحيوان اذا تيسَّرت له حاجات الحياة من الغذاء والضوء والماء نُسِجَت جواهرهُ على منوالٍ عظمًا وعلى آخر لحمًا او معًى او عصبًا او دماغًا واهتم كلٌّ منها بحفظ حياتهِ خصوصًا وحياة الكل عمومًا فسعى كل اعضائهِ الى غرضٍ واحدٍ. ويتسامى الحيوان في مراتب الكمال تظهر فيهِ ظواهر النفس وتكثر ويتداخل بعضها في بعض بارتقاء ما تظهر فيهِ حتى تبلغ غايتها في الانسان. وليس في وسعك ان تستغني الانسان في شيءٍ ممَّا تقدَّم فانهُ لا يزيد في اصلهِ عن النبت في كونهِ جسمًا حيًّا قابلاً للتغذية والنموِّ ثم يدخل دائرة الحيوانية ويمرُّ على مراتبها من ادناها الى اعلاها حتى يصير حيوانًا شاعرًا مدركًا عاقلاً. فواضح مما قدَّمتهُ ان النفس لا تظهر الاَّ في ما كان مرتبطًا بشرائع الجمادات والاجسام

الحية وانها ترتقي في الحيوانات حسب ارتقاء الحيوانات في مراتب الخلق حتى تبلغ اكملها في الانسان. فهي مادية تنمو كالاجسام ولا يسع العقل السليم ان يجعلها جوهراً مستقلاً عن الجسد وهو يراها ترتقي رتبة كما ترتقي اجساد الحيوانات بل لا بدَّ لمن يطاوع عقله ان يحكم بان نموَّ النفس وارتقاءها مسببان عن نموّ الاجسام الحيَّة وارتقائها وان النفس فعل الدماغ كما ان الهضم فعل المعدة

والخلاصة اننا لا نعلم بوجود نفس غير مقارنة للجسد ولا دليل لنا من البحث والمشاهدة على وجودها كذلك . وان النفس تنمو كنمو الجسد وتعتمد عليه في ادراكها وانفعالها وتضعف بضعفه وتقوى بقوَّته وتنام بنومه وترتقي بارتقائه وتنقلب على نار الجنون وتضلُّ في تيه البلاهة والهذيان بتعطُّل الدماغ واضطراب تركيبه وتغيب عن معرفتنا وتتلاشى من عالم مشاهدتنا بموته وانحلاله الى العناصر التي تركَّب منها

ويترتب على ذلك ان النفس فعل من افعال الجسد وان جوهرها هو جوهر الدماغ. وبهذا يتضح سبب نموها بنمو الجسد واعتمادها عليه في الادراك والانفعال وصحتها بصحته واعتلالها باعتلاله وارتقائها بارتقاء مراتب المخلوقات وزوالها واضمحلالها باختلال الجسد واضمحلاله . واما كونها جوهراً غير ماديّ فلا يحلُّ مشكلاً من هذه المشاكل ولا يشفع عقل العاقل فهذا ما تهيَّأ عندي الآن فهات دليلك على مذهبك والبرهان

ك . نعم ما طلبت فستعلم هذه الجماعة أيُّنا اقوى برهاناً واصدق بياناً ولكنك قد اطلت الكلام فابسط ادلَّتي في محفلٍ آخر والسلام (التابع للتابع)

---

# طُرَف في تركيب الانسان

بقلم السيدة ياقوت صروف

القلب * قلت في النبذة الاولى ان في داخل هيكل الجسد اعضاء رئيسة كالمعدة والقلب والرئتين وما اشبه واوجزت الكلام في المعدة والهضم لانه قد جاء وصفهما في المقتطف قبل ذلك مفصلاً ولكني استطردت الكلام الى الطعام وكيفية طبخه والآن اعود الى وصف العضو الثاني الرئيسي الذي هو القلب فاقول

يبتدئ القلب في الحيوانات الشعاعية التي هي اوطأ انواع الحيوانات بانبوب بسيط ولكنه يتم وظيفته التي هي ارسال الدم الى اطراف الجسد كقلب الانسان. ثم يتقدم على ذلك درجةً في الحيوان المسمَّى بالتونيا لان هذا الحيوان له قلب حلقيٌّ حول مريئه. ثم يتقدم درجة اخرى في نوع من الصدف له قلب ذو تجويفين فاذا كان في الماء بان نبض قلبه جليًّا فهو في ذلك اعلى من الحيوانات المفصلية. اما